الرواية التاريخية بين صوت التراث والهوية
قراءة في رواية "الحب ليلا في حضرة الأعور الدجّال " لعز الدين جلاوجي.

The historical novel between the voice of heritage and identity
Reading in the novel “Love at Night in the Presence of the One-eyed Antichrist”

محمد الأمين بركات[1] ، هيشم بن عمار [2]

1جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)،Mohamed.barkat@univ-biskra.com

2 جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)،algeri069900@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/05/07تاريخ القبول: 2018/07/14 تاريخ النشر: 2019/12/31

الملخص باللغة العربية: يعدّ التراث مكونا أساسيا للهوية ، والهوية معبرة عن التراث وناقلة له ، وإن الأمم تعرف بهوياتها التراثية التي تجسدها الثقافة والحضارة ، والمحافظة على التراث بأشكاله وأنماطه وتجلياته المتعددة واجب ومسؤولية ورسالة ؛ إذْ هو رصيد إنساني متراكم يعد ثروة الأمة ورصيدها الذي لا ينضب وجذور وجودها ، والتراث مصدر معرفي وحضاري ينهل منه ويبنى عليه ، ولذلك كان التفريط فيه يُعد انسلاخا من الهوية وتنكّر للأصول ، وتواصل الأجيال من خلال التراث بجميع أشكاله ضرورة من ضروريات المحافظة على قيمته وحماية الخصوصيات الثقافية والحضارية ، فتراثنا ثروة إنسانية حضارية أغنت المعرفة الإنسانية عبر عصور التاريخ الفكري والأدبي والعلمي للأمة .

الكلمات المفتاحية: هوية، تراث، رواية، تاريخية، جلاوجي.

Abstract: Heritage is an essential component of identity, and identity expresses and transmits heritage. Nations are known for their heritage identities that are embodied by culture and civilization. Preserving heritage in its various forms, patterns and manifestations is a duty, responsibility and mission; It is an accumulated human asset that considers the nation’s wealth and its inexhaustible balance and the roots of its existence, and heritage is a source of knowledge and civilization that draws from it and builds upon it. Therefore, neglecting it was considered a stripping of identity and a denial of origins, and the continuity of generations through heritage in all its forms is a necessity to preserve its value and protect privacy. Cultural and civilizational, our heritage is a human civilization wealth that has enriched human knowledge through the ages of the nation's intellectual, literary and scientific history

Keywords: identity, heritage, novel, historical, glauji.

المؤلف المرسل :محمد الأمين بركات

Mohamed.barkat@univ-biskra.com

1- الهوية والتراث:

لقد شكل الموروث الشعبي بأشكاله المتعددة ظاهرة فنية ، ذات أثر بالغ في بنية الخطاب الروائي الجزائري _ عز الدين جلاوجي خاصة _، حيث أعادوا من خلاله اكتشاف الماضي في ضوء تجليات الحاضر ، بأبعاده الإنسانية الملتصقة بدم الشعب وروحه وممارساته الحياتية اليومية ، فأعادوا تشكيله من جديد ، وفق رؤية تمتص المحمولات الدلالية الموروثة لتكشف عن نضج التجربة الروائية ، وخصوصية مبدعها في تعبيره عن الواقع المعاش ، واستطاعوا بناء علاقة جدلية بين الرواية الرسمية والموروث الشعبي ، وردموا بذلك الهوة السحيقة التي كانت تفصل بينهما ، كما جعلوا منها كيانا بنيويا متكاملا مع العناصر الفنية الأخرى التي يحتوي عليها النص الروائي لإنتاج الدلالة الكلية . (موسى، 2001)

وبناء على ما سبق يبدو أن الموروث الشعبي لا يعيش شكلا وقالبا في النص الروائي الجزائري ، لأن العلاقة بينهما ليست علاقة ميكانيكية مجردة ، بل هي علاقة تفاعل جدلي ، وتلقيح حي بين طرفين تتولد منهما حركة الواقع ، وصورة جدية للكون تفاجئ المتلقي أو تصدمه بدلالات غير متوقعة ، في حين لم تكن هذه الرؤيا للموروث الشعبي بهذا الوضوح لدى كثير من المدارس الأدبية العربية في بعض العصور ، التي اكتفى الروائي فيها باستخدام الموروث استخداما آليا لا يبتعد كثيرا عن القشرة الخارجية له ، لذلك لم يقدر لهم أن يستوعبوا الموروث ويعملوا على تطويره وإعادة صياغته وبنائه وفق رؤيا جمالية ، وأسس إبداعية جديدة .(موسى، 2001)

لقد استقى الروائي الجزائري من التراث الشعبي كثيرا من مواده وموضوعاته ، للكشف عن حقيقة وجوده الذاتي و الإنساني ضد محاولات الطمس والإلغاء ، وعاد من خلالها إلى منابع المعرفة الشعبية في بكارتها وفطرتها للتعبير عن قضايا ومضامين تجسد تصوره الكلي للعالم ، وحلمه في صنع مستقبل إنساني تنفتح فيه الرؤيا الروائية وترتحل لمناطق شعورية ولا شعورية متغلغلة في أعماق النفس الجزائرية والأدب الجزائري ، لتأكيد

وجوده الذاتي وهويته الحضارية ، وقد تم له ذلك بتحويل الأنساق الثقافية إلى رموز ترتبط بالإطار الجماعي لا الفردي ، أثرت الخطاب الروائي بتعدد دلالاته الجمالية المنتجة .

فالمتأمل إذن قد تستوقفه ظاهرة توظيف الروائي الجزائري للأدب الشعبي بزخم كمي ، والأغاني الشعبية ، مما أدى إلى وضعها في مجموعات ، وتصنيفها في حزم كلية تندرج كل واحدة منها إلى عدة إشارات شعبية ، تشكل موضوعا متجانسا حتى يسهل حصرها ومن ثم دراستها وتحليلها ، فضلا عن أهميتها كإشارات مستمدة من الذاكرة الجماعية للتعبير عن مرحلة مهمة من مراحل التاريخ الجزائري ، وبذلك كانت محاولة روائية مهمة ضد طمس التراث ، وتأكيدا في الوقت نفسه على حضور التراث والشعب الجزائري وانغراسهما في التراب والأرض .

2- الرواية التاريخية والأغنية الشعبية:

لقد شغلت الأغنية الشعبية اهتمام كثير من الروائيين في مختلف التحولات التي اكتسحت النسق الثقافي في الجزائر ، ولما كانت هذه الأخيرة تكشف عن نظام المجتمع الواقعي للشعب الذي أصبح بدوره يعيش فترة من فترات الصراع الحضاري الذي يفرض على الروائي ذلك ، ولما تنهض به أيضا _ الأغنية الشعبية _في عمقها على المستوى الموسيقي الذي يخلق بينها وبين الرواية تزاوجا يقول بوتور :" إن الموسيقى والرواية فنان يوضح أحدهما الآخر ، ولابد لنا في نقد الواحد من الاستعانة بألفاظ تختص بالثاني." (بوتور، 1982)

فالأغنية الشعبية إذن تعبير صادق عن وجدان الشعب وشكل أدبي" يودعه الشعب قيمه الحضارية في انفعال صادق لما تحتفل به من ظواهر اجتماعية مختلفة ، وكونها أصدق تعبيرا من الشعر الفصيح عن هذه الظواهر لقربها من المجتمع الشعبي من ناحية ، ولأنها ترتبط في تعبيرها عن مناسبات متعددة بالعادات والتقاليد والعرف الاجتماعي الشعبي مباشرة "(بدير، 2002) هذا إذن يوضح لنا مدى ارتباط الأغنية وما تمنحه لها من صلة بالماضي .

3- توظيف الأغنية الشعبية عند جلاوجي بين الموقف والرؤية :

لقد شكلت موضوعات الأغنية الشعبية الموظفة لدى الروائي الجزائري عز الدين جلاوجي معادلا موضوعيا ضد محاولات اندثار الشخصية الجزائرية ، وكانت تعبيرا على تأكيد الهوية الوطنية ، وقد سار في هذا السبيل من خلال عدة محاور ، المحور الأول يتمثل في تضمين الأغنية في سياقه الروائي دون أن يغير شيئا في لغتها ، أو أسلوبها أو وظيفتها ، أو دلالتها الموضوعية ، أما المحور الثاني فيتمثل في أخذ اللحن المشهور للأغنية والنسج على منواله ، لذلك فقد اتسمت الأغاني الشعبية بالجاذبية اللحنية والإيقاعية التي تهز الوجدان ، وتثير العاطفة المقترنة بثراء جمالي ، للكشف عن مدى تجاوب الإنسان الجزائري مع تراثه الشعبي ومع أصالته الشخصية أو الوطنية من جهة ، وإقامة توازن نفسي بينه وبين الواقع الذي يعيشه بكل ما فيه ، فهو يقدم نموذجا يبدوا أثر الأغنية الشعبية _أغنية الختان ومبرراتها النفسية وما ترمز إليه من التضحية والخلود_ فيه واضحا يقول: (جلاوجي، 2017)

طهر يا الطهار و يا بوشاشية .. ويا بوشاشية

ما تجرحش أوليدي العزيز عليا .. العزيز عليا

طهر يا الطهار يا بوخيط أحمر .. يا بوخيط أحمر

طهر لي ولدي وطهر بالنظر .. وطهر بالنظر

طهر يا الطهار طهر في حجري .. طهر في حجري

طهرلي ولدي ويعشي يجري.. ويعشي يجري

إذا كانت وظيفة هذا النوع والذي يدخل في ما يسمى بأغاني المناسبات الاجتماعية والذي وظيفته هي كشف نظام المجتمع الواقعي الذي يعيشه الشعب ذلك

المجتمع الذي أصبح يعيش فترة من فترات الصراع الحضاري بين القيم القديمة الراسخة من ناحية والتطور الحضاري الذي يعززه ويفرض عليه تغيير بعض المفاهيم من ناحية أخرى ، فالروائي ومن خلال هذا التوظيف تستحضر أغنية شعبية ، يظهر مدى قدرتها على التعبير وعن وعيها الذاتي والحضاري .

وتقول في موضع آخر ، خاصة بعدما أن تجلى اللفظ الشعبي في الرواية من ، باعتباره الفاعل الدلالي الذي تنبثق منه الرؤيا الروائية يقول : (جلاوجي، 2017)

وحد الغزيل بجماله سباني

ظريف مزعبل ما له في الملاح ثاني

بوصله يبخل ويرضى بهجراني

ويقول كذلك : (جلاوجي، 2017)

يا ناس خافوا ربي لا تلوموني

في حبي للروميه واعذروني

هذي حوريه هبطت م الجنة؟

وإلا الملايكة فهموني ؟

** ** ** **

الوجه مدور كالشمس الضوّايه

دافي واحنين نارو كوّايه

قلبي عشقها ما تسيئوا بيها الظنه

ما تقولوا عليها شيطان غواية

** ** ** **

لقد ضمن الروائي روايته هذه المقاطع الشعبية لما تضمنته من مواضيع مختلفة لها أبعاد نفسية واجتماعية ودينية ، يمكن اعتبارها مصادر ومراجع تاريخية شفوية يستلزم تدوينها ، فهذه الأغنية تعتبر أغنى المصادر لاستكمال الصورة التاريخية ، وهي كفيلة بإلقاء الضوء على الأشخاص والأحداث التاريخية السائدة في ذلك الوقت .

لقد جعل الروائي الأغنية الشعبية جسرا للتواصل على غرار ما قدمه الروائي على لسان الحبيبة التي يشدها الحنين إلى الحبيب يقول " ظلت تقف عند الباب قلقة حائرة ، ما باله تشتاقه ولا يشتاقها ؟وتحن إليه وتخاف عليه ولا يفعل ... وهي تتذكر ما كان يغني لها " يقول : (جلاوجي، 2017)

عندي حمامة تْرِنْ في برجْ عالي

حرقت قلبي وشغَلتْ لي بالي

صوتها لحنْ مْشكّل لالي يا لالي

مشيتها حجله تْثِير دْلالي

وقلبها باهي وحْلُو كِعَنقود الدْوَالي

وأحيانا قد يكون توظيف الكاتب لنص الأغنية الشعبية انعكاسا لحالة نفسية آلت إليها شخصية من الشخصيات التي وظفها في نصه الروائي ، فيقدم لنا عز الدين جلاوجي نموذجا شعبيا عكس صراعا قويا جسده " علال" الذي قضى كل شبابه في شرب الخمرة ، هاربا من يتمه وفقره ، بين طموحاته وأحلامه وتطلعاته إلى المستقبل (الزواج من وريدة) ، وبين واقعه المرير بسبب همومه العاطفية ومشاكله التي يعانيها يقول: (جلاوجي، 2017)

ورَيْده شمسي لحْنينه

طلتها انْتَحِّي لَغْبِينَه

عينيها قمرا ضوَّايه

في قلبي جمرة كوَّايه

لقد استطاع الروائي من خلال توظيفه لهذه المقطوعة الشعبية أن يصف لنا الموقف وصفا واقعيا يسعى من خلاله إلى تجسيد موقفا اجتماعيا ينم عن مواجهة شرسة مع الحياة أمام الفشل الذي يعاني منه " علال " إذ لم يتمكن من الزواج من " وريدة " .

ويواصل الروائي مقاطعه الشعبية الحزينة لتختلف وظائف الخطاب الروائي عنده ، حتى تسهم في ربط مفاصل النص وتحمل بعدا رمزيا يقول على لسان "العربي الموستاش" الذي قرر تزويج " حمامة " الفتات المسجونة ابنة " سي رابح " لابنه البكر" بلخير" يقول: (جلاوجي، 2017)

اصبري اصبري يا لحنينه قريب تزول لغبينه

تسعد قلوبنا ولعوينه ونفرح ونزهى ونرتاح

ما يقهرنا هول حْبَاس ولا خبث الوسواس

ربي علينا عسّاس ينصرنا ويسعد لَرْوَاح

يا فرانسا راكي غلطانه حمامة أميرة سلطانة

شجاعة وقوة و فطانه ما اخوفها منك سْلاح

لقد جاء توظيف " عز الدين جلاوجي " للأغنية تعبيرا كما قلنا سابقا عن ظرف نفسي لبطل الرواية ، فقد حافظ الكاتب على ألفاظ الأغنية العامية (الدارجة) حتى

يحافظ على دلالتها وطاقتها التعبيرية واللغة الخاصة بها ، خاصة أن الرواية لها ارتباطا وثيقا بالذاكرة الشعبية ، فالروائي يقدم لنا صورة في غاية الجمال جسدتها المفارقة الزمانية التي تمثلها " العربي الموستاش" الذي كان سعيدا بإمكانية تزويج ابنه " بلخير " من "حمامة " ابنة "سي رابح" لينقلب الزمن وتشاء الأقدار أن تقتل زوجته " زوزان" لينقلب المشهد الروائي من الفرح إلى الحزن وهو ما عبرت عنه هذه المقطوعة التي قالها يقول: (جلاوجي، 2017)

يا خاوتي ذا قلبي مجروح وعيني تبكي وتنوح

قولولي وين اروح الدنيا ضاقت بيا

يا خاوتي عاونوني بالدموع ابكيو بالصوت المسموع

من الليل حتى الطلوع نار حزني كوايا

اسمعوا صوت السما والأرض والجبال والما

والريح والغابة و الظلما كلها تندب معايا

يرتبط مضمون هذه الأبيات بالأوضاع التي يعيشها " العربي المستاش" المنتشية بالحزن ، فساهم الغناء عامل مساعد في التغلب على ضغوطات الحياة من جهة ، ومن جهة أخرى تتأسس الأغنية أداة يمكن أن تكشف عن رؤية شخصية للواقع وتلخص موقفها من بعض القضايا منه .

وبما أن الزمان دوار وبعد أن كان " العربي المستاش" مرفوع الرأس شامخه ، فقذ طأطأ الزمن رأسه ، فتجسدت بذلك مفارقة زادت الصورة حيوية أكثر وأضفت على النص الروائي سمة درامية زادت من بساطته يقول: (جلاوجي، 2017)

نقسم بالرب العالي ما يهنا لي بالي

ندوس كل اهوالي ونذبح هذا العديه

نشعل فيهم النار ندق فيهم المسمار

نهزم جيش الكفار اللي بغاو عليا

وهكذا فقد جاءت معظم توظيفاته للأغنية الشعبية على شكل مقاطع تتنوع من ناحية الطول والقصر تماشيا مع ما يخدم أحداث الرواية وما يعكس بوضوح حضور التراث .

خاتمة :

لقد أصبح التراث يمثل إحدى ركائز المواجهة والنهضة المنشودة التي من شأنها الحفاظ على الكيان والهوية ، وعليه نجد الروائي " عز الدين جلاوجي " في توظيفه للتراث قد تمخض عنه بعض النقاط الآتية :

1_ حضور التراث في أعمال الروائي يؤكد الوجود الفعلي لتلك الأمة .

2_توظيف التراث في الأعمال الروائية يولّد دلالات جديدة وإعادة خلق وإبداع .

3_ توظيف التراث في رواية عز الدين جلاوجي جاء ليعكس الكثير من المظاهر السياسية والاجتماعية التي راهن الروائي على تحقيقها من خلال استلهامه للتراث الشعبي .

4_ نعم لقد استطاع الروائي أن يكشف عن الواقع الذي يعيشه المجتمع الجزائري وذلك من خلال توظيفه للأغنية الشعبية فكانت قصائده انعكاسا فنيا يكشف عن وعيه بالتراث الغنائي وموضوعاته الوطنية في أبعادها الحياتية المتعددة .

5_وأخيرا نقول إن جلاوجي قد وفق في توظيفه للنصوص التراثية في نصه الروائي وهو ما جسدته " الأغنية الشعبية " التي يأتي توظيفها ارتباطا بالجذور التاريخية للمجتمع.

المراجع:

إبراهيم نمر موسى. (2001). *صوت التراث و الهوية دراسة في أشكال الموروث الشعبي في الشعر الفلسطيني المعاصر* (المجلد 1). كفر قرع فلسطين: دار الهدى للطباعة.

بوتور ,م .(1982) .*بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة :فريد أنطونيوس* .(Vol. 1)بيروت ، لبنان :دار عويدات.

جلاوجي ,ع .ا .(2017) .*الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال* .(Vol. 1)الجزائر :دار المنتهى.

حلمي بدير. (2002). *أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث*. مصر: دار الوفاء للنشر.